

خطبة منبرية في موضوع:

« الحياة الطيبة بين الإيمان والعمل الصالح »

ليوم: 07 ربيع الآخر 1446هـ، الموافق لـ: 2024/10/11م.

الحمد لله الذي أخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة والإيمان، وزَيَّن جوارحه ومظاهره بجمال الإسلام، وحلَّى معاملته وجميع تصرفاته بخلق الإحسان، نحمده سبحانه وتعالى حمد العارفين به، المقربين له بالعبودية اختياراً واضطراراً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الدالُّ عليه بقوله وفعله وجميل خصاله، صلى الله وسلَّم عليه صلاةً وسلاماً دائماً ما دامت السَّموات والأرض، وعلى آله الأتقياء الأطهار، وصحابته النُّقباء الأخيار، وعلى التَّابعين لهم في الإيمان الصَّادق والعمل الصَّالح في كل وقت وحين.

أما بعد؛ فيا أيها الإخوة المؤمنون والأخوات المؤمنات، لقد نهج العلماء في «خطبة تسديد التبليغ» منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في الأخذ بالتَّدرج في التَّركيز على الإيمان أولاً، ثم على العمل الصَّالح الذي هو ثمرة الإيمان الخالص في النُّفوس ثانياً.

فمن منهج القرآن الكريم: أن الفترة المكية ركَّزت على الإيمان ووسائل ترسيخه، حيثُ دعا النَّاسَ جميعاً إلى معرفة ربهم الذي خلقهم، ونصَّب على وجوده تعالى أدلة كثيرة في الإنسان نفسه والكون الذي من حوله، كما قال جل شأنه:

﴿سَنُرِيهِمْ ذُرِّيَّتَنَا فِي الْأَبْوَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَ

أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹.

ونبّه سبحانه إلى تسخيرهِ للكائنات كلها لفائدة الإنسان، في آيات كثيرة من السُّور المكية، نذكر منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

وَالْأَمْرُ تَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾².

وهذا قبل أن تُفَرَضَ الصَّلَاةُ وغيرها من الأركان، لمدة تزيد عن عشر سنوات من ترسيخ الإيمان وبيان حقائقه ومعانيه.

¹ - سورة فصلت، الآية: 52.

² - سورة الأعراف، الآيات: 53-55.

ومن السُّنة نجد قول النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل، رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن:

«إِنَّكَ ستأتي قوما أهلَ كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»¹.

عباد الله، يستفاد من هذا الحديث أن النبي ﷺ أوصى معاذاً بالتَّدرج شيئاً فشيئاً؛ ولذلك دعاه أن يبدأ دعوته بالشَّهادتين، ثم قال له: «فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات...»، الحديث.

والعلماء إذ نهجوا المنهج القرآني والنَّبوي يقصدون بذلك تقرير معاني الإيمان في النُّفوس، وتحرير الإنسان من غوائل النَّفس والهوى والشَّيطان، وتحقيق معنى العبادة التي يقر بها العبد في كلِّ صلاة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾²

متبرئاً من الكبرياء، وهو يكبر الله تعالى في كلِّ خفضٍ ورفعٍ من صلاته، متلمساً آثار ذلك في حياته اليومية، متحلياً بمعاني الإخلاص والرِّضى والتَّسليم والتَّفويض لله تعالى في السِّر والعلانية.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم الحديث: 1496 / رقم الحديث بالمنصة: 25.

² سورة الفاتحة، الآية: 4.

فإن وصلنا جميعاً إلى هذه المرحلة، فسنكون قادرين على فهم مراد الشرع منّا من خلال شرائعه، وستكون جوارحنا سهلة الانقياد لأمر الله ونهيه.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والبيّنات والذّكر الحكيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكبير المتعال، الفَعَّال لما يريد من غير اضطرار أو اعتلال، والصَّلَاة والسَّلَام على رسول الهدى والنُّور المتَّصف بجميل الخلال، سيِّدنا محمد وعلى ما له من الأزواج والذرية والآل، وعلى صحابته الكرام والتَّابعين لهم في كل آن وحال.

أيها الإخوة المؤمنون، إنَّ مما ينبغي التَّذكير به، قبل أن تنتقل بنا «خطة تسديد التبليغ» من الخطب الإيمانية إلى الخطب في مجالات العمل الصَّالح المختلفة، محاسبة النفس على ما مضى من البيان، هل استفدنا من كل ما سبق التَّركيز عليه من الإخلاص في الإيمان، والتحلي بمقتضياته من معرفة النَّفس ما لها وما عليها، وهل استجبنا لله ولرَّسول عندما يدعونا لما يحيينا حياة طيبة؟ وهل تحررنا من الأغيار التي تحول دون تزكية النَّفوس وتطهيرها، من الأنانية والكبر والعجب والهوى ونزغات الشَّيطان؟

وهل أسَلَمْنَا أنفسنا لله كما يقتضي معنى الإسلام؟ وهل أَمَّنَّا أنفسنا وغيرنا من شرور أنفسنا كما يقتضي معنى الإيمان؟ وهل مُمارساتنا في العبادات والمعاملات تكون في مستوى أن تعبد الله كأنَّك تراه، كما يقتضي معنى الإحسان؟

فهذه، إخوة الإيمان، مجموعة من الأسئلة مأخوذة من قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّمَّ ذَكَرٍ أَوْ انْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾¹.

¹ - سورة النحل، الآية: 97.

حيث اشترط الحق، سبحانه، للعمل الصَّالح أن يكون في حالة وجود الإيمان الصَّادق المفهوم من الجملة الحالية اللازمة لكل عمل صالح؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

فإن تحقق هذا الشرط يكون العمل الصَّالح سهل المراس، كما وقع للصَّحابة الكرام لما نزلوا بالمدينة، وقد اطمأنت قلوبهم بالإيمان، فتوالت عليهم الشرائع المختلفة من العبادات والمعاملات والسياسة والتدبير للشأن العام، وغيرها من مقتضيات الحياة.

وليس ببعيد أن يكون مثلهم أو قريباً منهم مَنْ أخذ بما أخذوا به من الإيمان الصَّادق الخالص لله، والعمل الصَّالح الصَّادر عن العبد طاعة لله.

هذا، وخير ما نختم به الكلام، ونجعله مسك الختام، أفضل الصَّلَاة وأزكى السَّلام، على سيدنا محمد أفضل من آمن وصدَّق وصلَّى وصام، فاللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد في الأولين، وصلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمد في الآخرين، وصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد في الملائ الأعلَى إلى يوم الدِّين.

وارض اللهم عن ساداتنا الحنفاء الأربعة الخلفاء، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن العشرة المبشرين بالجنة، وعن الأنصار والمهاجرين، وعن باقي الصَّحْب أجمعين، وعن التَّابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وانصر اللهم من وليته أمر عبادك، وبسطت يده في أرضك وبلادك، مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصراً عزيزاً تعز به دينك، وترفع به راية أوليائك، واحفظه اللهم في صحته وعافيته، وأقر عين جلالته بولي عهده المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن، وشد أزر جلالته بصنوه السعيد، الأمير الجليل مولاي رشيد، وبباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنَّك سميع مجيب.

وارحم اللهم بواسع رحمتك الملكين الجليلين مولانا محمداً الخامس ومولانا الحسن الثاني، اللهم طيب ثراهما، وأكرم مثواههما، واجعلهما في مقعد صدق عندك.

وارحم اللهم آبائنا وأمهاتنا وسائر موتانا وموتى المسلمين، اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزَيِّنْه
في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا بمحض فضلك من الرّاشدين.
رَبَّنَا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. رَبَّنَا إِنَّكَ
رءوف رحيم.

سبحان ربِّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.